أن النفوس البشرية الحية لا صبر لها على ذلك ومن ذا الذى يرضى بالأسر ويحتمل الاستعباد ولا سيما الاستعباد الفكرى

فيض الله « رسو » للمدارس وهذه حالها لا تحسب للطفل حساباً ولا تقيم له وزناً ولا تراعى شيئاً من قوانين النمو ولا طرق النشوء فحرمت عليه الحركة وأساءت فهم النظام وحتمت عليه أن يجلس كأنما على رأسه الطير وأن يصغى الى المعلم الساعة بعد الساعة واليوم بعد اليوم فقتلت فكره وأضعفت جسمه ووضعت فى رقبته الأغلال التى لا يستطيع حملها تلك كانت الحال ولا يزال أثرها مشاهداً فى بعض المدارس الى اليوم

وسنتكلم فى « رسو » وآرائه فى المقال الآتى ومن الله نستمد العون

محمد على المجذوب
بالخديوية

عبد الملك بن مروان والشعر

٢

جودة نقده إياه

وعدنا فى المقال السالف أن نأتى ببعض ما أثر عن عبد الملك من جودة نقد للشعر وجميل موازنة فى متشابهه ورجوع الى الحق متى وضح فى غير طريقه والآن نسوق القول ذاكرين شيئاً عن كل أمر من هذه الامور الثلاثة .

فأما النقد المعروف عنه فكثير فائض وها نحن أولاء آتون بجملة منه متبعين كل نقد بمبعثه من نفس عبد الملك ودلالته على ميزة له

١ — دخل أرطاة بن سُهَيَّة عليه وكان قد هاجى شبيب بن البَرْصاء فاستنشده بعض ما قال فأنشده

أبى كان خيراً من أبيك ولم يزل جنيباً لآبائى وأنت جنيب

فقال له كذبت شبيب خير منك أباً ثم أنشده

وماذاك خيراً منك مذ عض كارها برأسك عادى البجاد ركوب

فقال له صدقت أنت فى نفسك خير من شبيب قال أبو عبيدة فعجب من عبد الملك من حضر ومن معرفته أقدار الناس على بعدهم منه فى بواديهم وكان الأمر على ما قال كان شبيب أشرف أباً من أرطاة وكان أرطاة أشرف فعلا ونفساً من شبيب قال ذلك أبو عبيدة فذكر إحدى دلالات هذا النقد فى عبد الملك وهى المعرفة الواسعة وهناك دلالة أخرى هى ترفعه عن أن يسمع الكذب ولا يرده حتى فى الشعر الذى يقال فيه إن أعذبه أكذبه وهذا كان دأبه فى كل ما يسمع ومنه الخبر الآتى أيضاً

٢ — لما أتاه الجحّاف بن حكيم بعد أن أمنه وحضر من بلاد الروم دخل عليه فلبث قائماً فقال له أنشدنى بعض ما قلت فى غزوتك هذه وفَجْرَتك فأنشده

صبرت سليم للطعان وعامر واذا جزعنا لم تجد من يصبر

فقال له كذبت ما أكثر من يصبر ثم أنشده

نحن الذين اذا علَو لم يفخروا يوم اللقاء وإن علُوا لم يضجروا

فقال له صدقت حدثنى أبى عن أبى سفيان بن حرب أنكم كنتم كما وصفت يوم فتح مكة

٣ — قال أبو العباس المبرد لم تجد الرواة ولا من يفهم جواهر الكلام مذهباً حسناً لقول نصيب

أهيم بدعد ما حييت فان أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدى

ثم قال وقد ذكر ذلك عبد الملك بن مروان لجلسائه فكل عابه فقال فلو كان اليكم كيف كنتم قائلين فقال رجل منهم كنت أقول

أهيم بدعد ما حييت فان أمت فواحزنا من ذا يهيم بها بعدى

فقال عبد الملك ما صنعت شيئاً فقيل له فكيف كنت قائلا فى ذلك يا أمير المؤمنين قال كنت أقول

أهيم بدعد ما حييت فان أمت فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

فقالوا أنت والله أشعر الثلاثة يا أمير المؤمنين اه وإنما قالوا ذلك لما أحسن فى تعبيره عن غيرة العربى وكيف كانت تملأ قلبه وتملك عليه سمعه ولبه

٤ — ويروى أن عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة وفد عليه مرة فقال له أنت القائل

أ أترك ليلى ليس بينى وبينها سوى ليلة إنى إذاً لصبور

قال نعم قال فبئس المحب أنت تركتها وبينك وبينها غدوة قال يا أمير المؤمنين إنها من غدوات سليمان غدوها شهر ورواحها شهر

وتلك إجابة على البديهة تحمد لعمر ولكن هيهات أن تسقط من نقد عبد الملك الذى رماه به فكان المتكلم فيه بلسان ذوى الهوى الجارى فى إيراده على السنن القويم للعشاق والمحبين وأنّى ذلك وقد عد من أشرف المعانى وأنبلها وفضل به قائله وقدم قول الأحوص بن عبد الله حيث يقول

أدور ولولا أن أرى أم جعفر ... بأبياتكم ما درت حيث أدور
وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى ... اذا لم يزر لا بد أن سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفر ... وإنى الى معروفها لفقير

٥ — ولما بلغه قول جرير فى مهاجاته الفرزدق والتعالى عليه

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة ... لو شئت سافكم الى قطينا

قال ما زاد ابن المراغة على أن جعلنى شرطياً أما انه لو قال . لو شاء سافكم الى قطينا . لسقتهم اليه كما قال . فربأ بمراتب الخلافة والملك عن مثل هذا الكلام وأرى الشعراء كيف يكون التخاطب مع الخلفاء والأدب فى التحدث عنهم

٦ — ويروى أنه استنشد رجلا من قيس قول خِدَاش بن زهير فى حرب الفجار وكانت بينهم وبين قريش وكانت قريش تُنَبَّز بسَخِينه والقول هو

يا شدة ما شددنا غير كاذبة ... على سخينة لولا الليل والحرم
إذ يتقينا هشام بالوليد ولو ... أنا ثقفنا هشاماً شالت الخدم
بين الأراك وبين المرج تبطحهم ... زرق الأسنة فى أطرافها السهم

فان سمعتم بجيش سالك شرفاً وبطن مر فأخفوا الجرس واكتتموا

فجعل الرجل يحيد عن قوله سخينة فقال له إنا قوم لم يزل يعجبنا السخن فهات فأنشد الرجل فقال له عبد الملك يا أخا قيس ما أرى صاحبك زاد على التمنى والاستنشاء فعاب عليه عده ما لم يحدث منقية وتخارا .

وأما موازناته وما كان يعيبه على قائل بقول غيره فحسنة مستملحة وجيدة صائبة

١ — قال يوماً لأسيلم بن الأحنف الأسدى ما أحسن ما مدحت به فاستعفاه فأبى أن يعفيه وهو معه على سريره فقال قول القائل

ألا أيها الركب المخبون هل لكم بسيد أهل الشام تحبوا وترجعوا
من النفر البيض الذين اذا اعتزوا وهاب رجال حلقة الباب قعقعوا
اذا النفر السوء اليمانون ثمنوا له حولك بردية أجادوا وأوسعوا
جلا المسك والحمام والبيض كالدمى وفرق المدارى رأسه فهو أنزع

فقال له ولكن ما قال أخو الأوس يريد أبا قيس بن الأسلت أحسن مما قيل لك وأنشد

قد حصّت البيضة رأسى فما أطعم نوماً غير تهجاع

وصواب ما قال فلأن ينسب الرجل صلعه الى حص البيضة وهى مغفر الرأس فى الحرب أشرف له وأنبل لصفاته من نسبته الى النزف ولوازمه مما ذكر شاعر أسيلم

٢ — وقال يوماً كان شاعر ثقيف فى الجاهلية خيراً من شاعرهم فى الاسلام فقيل ما يعنى أمير المؤمنين فقال أما شاعرهم فى الاسلام فبقوله

فما منك الشباب ولست منه اذا سألتك لحيتك الخضابا
عقائل من عقائل أهل نجد ومكة لم يعقلن الركابا
ولم يطردن أبقع يوم نجد ولا كلباً طردن ولا غرابا

وأما شاعرهم فى الجاهلية فبقوله

والشيب إن يظهر فان وراءه عمراً يكون خلاله متنفس
لم ينتقص منى المشيب قلامة ولما بقى منى ألب وأكيس

وله الحجة فى هذا التفضيل فان الاول يبغض اليك حياتك اذا ولى شبابك فيتركك واليأس وأتعس به من صاحب والثانى يحبب اليك حياة الشيب ويملؤك سروراً به وحبوراً لما فيه من قوة حزم ووافر عقل وراجح لب وهذا خير فى الحياة وأقنى

٣ — ولما أنشده الأخطل قوله يصف نفسه

بكر العواذل يبتدرن ملامتى والعاذلون فكلهم يلحانى
فى أن سبقت بشربة مقذية صرف مشعشعة بماء شنان

قال له شبيب بن البرصاء أكرم منك وصفاً لنفسه حيث يقول

وإنى لسهل الوجه يعرف مجلسى اذا أحزن القاذورة المتعبس
يضىء سناجودى لمن يبتغى القرى وليل يخيل القوم ظلماء حندس
ألين لذى القربى مراراً وتلتوى بأعناق أعدائى حبال فتمرس

يرمى الى أن شبيباً أكرم من الأخطل وقد بخل نفسه فى هذا الموضع الذى يسخو فيه البخيل ويجود له الشحيح وهو وقت الشراب وذاك شىء يعرفه الناس عموماً قال عمرو بن كلثوم فى الخمر

تجور بذى اللبانة عن هواه ... اذا ما ذاقها حتى يلينا
ترى الرجل الشحيح اذا أمرت ... عليه لماله فيها مهينا

٤ — وقال يوماً فى مجمع من الشعراء يا معشر الشعراء تشبهوننا بالأسد الأبخر والجبل الوعر والملح الأجاج ألا قلتم كما قال كعب الأشقرى

لقد خاب أقوام سروا ظلم الدجى ... يؤمون عمراً ذا الشعير وذا البر
يؤمون من نال الغنى بعد شيبه ... وقاسى وليداً ما يقاسى ذوو الفقر
فقل للجيم يا لبكر بن وائل ... مقالة من يلحى أخاه ومن يزرى
فلو كنتم حياً صميما نفيتم ... بخيلكم بالرغم منه وبالصغر
ولكنكم يا آل بكر بن وائل ... يسودكم من كان فى المال ذا وفر
هو المانع الكلب النباح وضيفه ... خميص الحشى يرعى النجوم التى تسرى

وهذا يقوله كعب عاتباً على ذوى قرابته وهاجياً المهلب بن أبى صفرة لأنه حرض على كعب ابن أخ له فسمع وأطاع غير مراع حرمة القرابة والعمومة وانما يريد عبد الملك أن يريهم كيف ان كعباً هجا فأوجع بما سهل من القول وخف من الكلام ولم يتجاوز الحقيقة الى غيرها مما يعمد اليه القاصرون أحياناً وفى الحقيقة عنه مندوحة

أما إذعانه الى خصمه متى كان الحق فى جانبه وعدم تغلبه على

سماره بما له فوق أدبه واطلاعه من علو المنزلة وسطوة الملك فمنه ما يأتي :

١ — يروى أنه أنشد قول الأخطل معجباً به وكان الشعبي حاضراً

وتظل تنصفنا بها قروية ... إبريقها برقاعه ملثوم
فاذا تعاودت الأكف زجاجها ... نفحت فشم رياحها المزكوم

فامتلأ الأخطل سروراً وقال سمعت بمثل هذا ياشعبي قال إن أمنتك قلت قال أنت آمن قال الشعبي أشعر منك والله الذي يقول

وأذكن عاتق حجل ربحل ... صبحت براحه شرباً كراما
من اللائي حملن على المطايا ... كريح المسك تستل الزكاما

فقال الأخطل ويحك ومن يقول هذا قال الأعشى أعشى بني قيس ابن ثعلبة فقال قدوس قدوس وضرب عبد الملك عن إعجابه صفحاً آخذاً بقول الشعبي لما هو معروف من شاسع البون بين خمر يشم رائحتها المزكوم وأخرى تستل منه زكامه استلالا

٢ — ولما أنشد قول كثير فيه يذكر أخذه الخلافة على كثرة من عارضوه وخرجوا عليه

فما تركوها عنوة عن مودة ... ولكن بحد المشرفي استقالها

أعجب به كثيراً فقال له الأخطل ما قلت لك والله ياأمير المؤمنين أحسن منه قال وما قلت قال قلت

أهلوا من الشهر الحرام فأصبحوا ... موالي ملك لاطريف ولا غصب

جعلتها لك حقاً وجعلك قد أخذتها غصباً قال صدقت .

هذا وموعدنا العدد القادم فى منحًى آخر غير النقد إن شاء الله ؟

السباعى بيومى
بالمدرسة الثانوية الملكية

القرآن الكريم والتحدى به

القرآن كتاب أُحكِمت آياته ، ثم فُصّلت من لَدُن حكيم خبير ، فيه آيات بينات ، ودلائل واضحات ، وحُجج ناصعة ، وبراهينُ ساطعة وأخبار صادقة ، وعبر رائعة ، ومواعظ تخضع لها القلوب ، وتدين لها النفوس ، بأساليب تأخذ بالألباب ، وتسحر العقول ، لا يتسنى لأحد من البشر مهما علا كعبه فى الفصاحة ، وساد ذكره فى البلاغة ، أن يتصدى لمباراته ، أو يفكر فى معارضته ، فهو آية الله الدائمة ، وحجته الخالدة ، (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) .

خاطب العقول فأيقظها من رقدتها ، ونبّهها من غفلتها ، وناضلها بالبرهان ، وقارعها بالحجة ، وأخذها بالموعظة الحسنة ، أرشد الناس الى ما به سعادتهم فى أعمالهم وأخلاقهم وعاداتهم وعقائدهم ، إرشاداً لن يضل متّبعه ، ولن يخجل نابذه .

حث الخلائق على التخلص مما هم فيه من الاستعباد المميت للنفوس ، والتقليد المزهق للعقول ، ليفكوا أنفسهم من تلك الأغلال ، ويحلوها